من تراب الطريق!

(٢٦٢) العقاد ومجانية الثقافة (*)

حدثتك سلفا عن مجانية الثقافة التى تآكلت فى زماننا، وعن القروش المعدودة القليلة التى كنا نقتنى بها روائع وأمهات الكتب فصارت الآن بعشرات الجنيهات وجاوزت أحيانا حدود المائة . وباعتبارى من هواة التفتيش عن الكتب، ومعجبا حتى النخاع بسيرة وعقل وفكر وأدب وإنتاج العقاد، وجدتنى أتابع دليلا وقع بيدى بالصدفة لأعداد كتاب الهلال منذ بدايته عام ١٩٥١ وحتى عام ١٩٩٢، وتراوح سعره فى هذه الحقبة بين (٨) و(١٠) قروش، وقد لفتنى حضور العقاد الكثيف اللافت منذ أول عدد وعبر جميع السنوات، آثر فيها العقاد أن يتيح كتبه الضافية للقارئ بقروش زهيدة دون أن تجذبه إغراءات المكاسب التى قد توفرها طبعات أو دور نشر أخرى .

استفتح كتاب الهلال أول أعداده فى يونيو ١٩٥١ بكتاب : " عبقرية محمد " للأستاذ عباس العقاد، وقدم له بشهر سبتمبر من نفس العام (١٩٥١) كتاب : " أبو الشهداء "، ومنذ ذلك التاريخ لم يمر عام دون أن تحمل إصدارات كتاب الهلال عددا أو أكثر من مؤلفات عباس العقاد . فى فبراير ١٩٥٢ : سعد زغلول . زعيم الثورة، وفى يونيو من ذات العام (١٩٥٢) " عبقرية خالد "، ولم ينصرم عام ١٩٥٢ دون أن يقدم كتاب الهلال المؤلف الثالث للعقاد : " القائد الأعظم محمد على جناح " .

(*) المال ٢٠٠٩/٥/١٩

وفى عام ١٩٥٣ قدم العقاد لكتاب الهلال : " عبقرية عمر"، و "فاطمة الزهراء والفاطميون "، وفى عام ١٩٥٤ قدم كتابين آخرين : "ذو النورين – عثمان بن عفان "، و كتاب : " الله " . وقدم فى عام ١٩٥٥ كتابين أيضا : " مطلع النور " فى مقدمات وآيات النبوة المحمدية، و" عبقرية الصديق" (أكتوبر ١٩٥٥) . وشهد عام ١٩٥٦، تقديم كتاب الهلال أربعة كتب لعباس العقاد : " معاوية بن أبى سفيان "، و " جحا الضاحك المضحك "، و" عبقرية الإمام على "، و" الصديقة بنت الصديق" .

وقدم فى عام ١٩٥٧ : " لا شيوعية ولا استعمار "، ثم قدم فى عام ١٩٥٨ ثلاثة كتب لكتاب الهلال : " حياة المسيح " (فى يناير)، و" سارة " – رواية (فى مايو)، و " إبليس " (فى أغسطس)، وفى عام ١٩٥٩ قدم فى أكتوبر كتابه : " المرأة فى القرآن الكريم "، وقدم كتابين عام ١٩٦٠ : " الإسلام فى القرن العشرين "، و " أبو نواس الحسن بن هانئ " .

وأعاد كتاب الهلال فى فبراير ١٩٦١ طبع كتابه : " عبقرية الإمام على "، وأخرج له فى سبتمبر من نفس العام كتابه اللافت : " الإنسان فى القرآن الكريم "، وقدم فى مايو عام ١٩٦٢ كتابه الضافى : " الفلسفة القرآنية "، وفى عام ١٩٦٣ كتاب " الشيوعية والإنسانية "، ثم كتاب : " رجال عرفتهم "، وفى عام ١٩٦٤ نشر له كتاب الهلال كتابه " أنا " – والعنوان من اختيار الأستاذ طاهر الطناحى الذى جمع فيه مقالات العقاد عن سيرته وأسلوبه فى عقود حياته المتتابعة، ثم نشر له " حياة قلم " فى ديسمبر ١٩٦٤ .

وفى عام ١٩٦٥ قدم العقاد لكتاب الهلال : " حقائق الإسلام وأباطيل خصومه " كتبه بناء على طلب المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ونشر بعدد أبريل ١٩٦٥، ثم قدم فى عام ١٩٦٦ كتاب : " ما يقال عن الإسلام "، وأعاد كتاب الهلال فى مارس ١٩٦٧ طبع كتابه : " إبليس "، ثم كتابه "

حياة المسيح " فى يناير ١٩٦٨، ثم كتابه : " الله " فى يونيو ١٩٦٨، ثم " مطلع النور " فى ديسمبر من نفس العام .

وفى مطلع ١٩٦٩ نشر كتاب الهلال بعدد يناير الكتاب الفريد للعقاد عن الشاعر " ابن الرومى "، وأعاد فى نوفمبر من نفس العام طبع كتابه : " الحسين أبو الشهداء "، وفى عام ١٩٧٠ أعاد كتاب الهلال فى مارس نشر كتابه : " الفلسفة القرآنية "، ونشر له فى نوفمبر كتاب : " الإسلام دعوة عالمية " .

ظل العقاد وفيا لتقديم كتبه إلى كتاب الهلال منذ بداية السلسلة وطوال حياته، واستمر كتاب الهلال فى تكملة نشر المتبقى بعد وفاته فى منتصف الستينيات، وأعاد فى أغسطس ١٩٨٨، بمناسبة ذكرى ثورة ١٩١٩ نشر كتابه : " سعد زغلول زعيم الثورة " .

هذه شهادة للعقاد على اهتمامه بإتاحة مؤلفاته بقروش زهيدة .. ليعبر بلا جلبة ولا استعراض عن فهم حقيقى لرسالة الثقافة، والابتعاد بمجانيتها عن أن تكون وسيلة لجنى الأرباح . اللافت أن العقاد فعل ذلك رغم أنه لم يكن له مصدر للإعاشة غير الكتابة، وباع مكتبته الخاصة أكثر من مرة لضيق الحاجة . هذه تحية متواضعة لعملاق ملأ حياتنا فكرا وثقافة ونورا .